ان الدجاجة تساوي غرشاً ونصف غرش . وبعد اني تعافيت من مرضي زارني جميع رفقة الكهنة الذي يسمى كبيلدو (Cabildo) (١ يعني ديوان الكنيسة من حيث اخذوني في الرفقة الى الكنيسة بالزياح وعند دخولنا للكنيسة حيث يمكث المطران والخوارنة اجلسوني جانب كرسي الارشيدياقون الذي بجانب كرسي المطران اكراماً لي . ثم طلبوا مني ان اقدس فارسلت واحضرت من الدار آلة القداس فقدست لهم قداساً باللسان الكلداني يعني السرياني الشرقي فصار عندهم انشراح زايد لاستماع قداسي . فثاني يوم صنعوا ديواناً بايامهم (مع بعضهم) وارسلوا اليّ الف غرش وكذلك ايضاً في باقي الكنائس والديورة من الرهبان والراهبات كانوا يرسلون اليّ شيئاً كثيراً واذا كان لي عجلة يعني عربانة (٢ باربعة بغال مع عبد اسود خادمها (لهُ تتمّة)

المعادن في لبنان

نظر الاب هنري لامنس اليسوعي مدرس الجغرافية الشرقيّة في المكتب الشرقي

ثانياً المواد المعدنية

ليس للبحث في هذا الموضوع مجالٌ واسع وما نورده في هذا الفصل دون ما قدّمناه في فصل الوقود

فلنباشرنّ بالحديد ولولا مخافة الالتباس لسمّيناهُ سيّد المعادن بدلاً من الذهب الذي خُصّ بهذه التسمية على غير حق . نعم ان الحديد من حيث اللمعان الظاهر والقيمة المجرّدة اقلُّ قدراً من بقيّة المعادن كالذهب والفضة والنحاس والزيبق وغيرها لكنهُ اكثر منها انتشاراً في الكون واعظم منها فائدةً للانسانية ولا يضاهيهِ في ذلك الّا الفحم الحجري الذي يشبههُ بسواد لونهِ وقلة نضارتهِ

ولقد يتبادر الى الذهن ان اغنى البلاد مالاً واوسعها اتجاراً واقدرها صناعةً هي البلاد التي توفّرت فيها معادن الذهب ومناجم الالماس والصحيح ان اغنى بلاد الله هي ما كثرت بها معادن الحديد ومناجم الفحم الحجري . فالمعادن الثمينة انما ينتفع منها بعض الخاصّة المُنعَم بها عليهم فتفيدهم زهواً وتزيدهم لهواً وان توارت عن وجه المعمور فلا

١) وبلافرنسية (Chapitre) ٢) اي مركبة

يلتحق بالانسان ضررٌ كبيرٌ بل يتخلّص من اكبر مُهيّج للاهواء البشريّة. امّا فقد الحديد فيُحدث في الهيئة الاجتماعيّة اضطراباً شديداً وفي اعمال الصناعة اختلالاً عظيماً ويكفي لاثبات ذلك ان الزراعة التي هي اهمّ الحرف واوجب الصناعات لا قيام لها بدونهِ

فان كان حقُّ التقدُّم لِمستحقيه بما يؤدون من الخدم الجليلة فليس بين المعادن من يستحقّ التقدُّم والسيادة نظير الحديد

ولقد اعتاد شعراء اليونان واللاتين الاقدمين ان يختصروا تاريخ العالم ويقسمونهُ الى ثلاثة اطوار ملقبين كلَّ طور باسم معدن فيدعون الاوّل والاقدم بالعصر الذهبي والثاني بالفضيّ والثالث بالحديديّ فلم يؤيد الاختبار تمام التأييد اعتقاد الشعراء ولا حقَّق التاريخ امانيهم لاستراسلهم الى مخيّلاتهم الساعية وراء الصور اللامعة والتشابيه الساطعة غير مبالين بتطبيقها تطبيقاً كاملاً على الحقيقة الراهنة

على اننا لو نظرنا الى استعمال الحديد المتعدّد وغوّهِ المتواصل الى حدّ انهُ كاد يقوم مقام كثير من المواد كالخشب والحجر لتجرّأنا ان نسمّي عصرنا العصر الحديديّ ومن هذا الوجه يكون قد سبق الشعراء فعرفوا المستقبل وهم لا يدرون. لكنّهم لم يدركوا ان الحديد يمشي مع التمدّن قدماً على قدم ويسير كتفاً لكتف مع النجاح الذي لا يكون بسواه. وما لا يُنكر ان اكثر الاشياء استعمالاً واعظمها نجاحاً الحديد والورق فالورق وهو أرق الاشياء والحديد وهو اصلبها كانا العاملين العظيمين المساعدين على التقدّم والنجاح ادبيًا وماديًا — نعني النجاح بالنسبة والتقييد لا على الاطلاق نريد النجاح الذي احتجّ عليهِ الشعراء الاقدمون كما يفعل اليوم اصحاب الفنون الجميلة وطالبو الحسن المعقول. ثمَّ ان للحديد شبهاً بالعصر العمليّ الذي نما بهِ غُوّه الغريب اي كثرة الفوائد على قلّة المحاسن. فحيثما اعتدى الحديد على الخشب والحجر وحرمهما حقهما ما امكنهُ ان يقوم مقامها في مقامات الفنون الجميلة فهو الخادم الذي لا بُدَّ منهُ وان قلّت ظرافتهُ بازاء الجاذب الفتّان وهو انّما يُحَبُّ لفائدتهِ لا للاحتهِ

على انَّ في عصرنا الحاضر لا يحل شيء محلّ الفائدة. فحب الانتفاع عمل على انتشار الحديد وغوّ الصناعة والتجارة وهذان الفرعان قد اصبحا من اعظم العوامل في انفاذ الحديد. فمن قبل مائة سنة لم تكن المراكب والآلات والسكك الحديديّة ولوازم الطوبجية فان كل هذه لم يكن يُعتدّ بها بالنسبة الى العصر الحاضر ثمَّ اضحت

آخرًا الزراعة وصناعة البناء من اعظم « أكلة » هذا المعدن. وقصارى الكلام انهُ أيسر علينا ان نعدّد حاجاتنا الى الحديد من ان نبين الحدّ الذي تقف عندهُ تلك الحاجات. فهذه التفاصيل توضح لنا على الاقل عظم شأنهِ فترى اننا لم نُوفها التفاتنا حقًا

*

امَّا معدن الحديد فهو لحسن الحظ كثيرٌ في قضض لبنان واتربتهِ ويشاهد في طبقاتٍ تتركَّب من حبَّات متلازجة كبيض السمك أو كالعدس او الحمّص المحجّر. وقد يُرى احيانًا مختلطًا ومحصورًا في كتلات كلسيّة او في مادَّة معدنيَّة معروفة باسم سپاث (Spath) . وهذه الموادّ غنيَّة بمعدنها غزيرة (١ لان كميَّة الحديد فيها من ٥٠ الى ٦٠ بالمائة ومن هذا الوجه لا يدانيهِ الّا معدن « مقطع الحديد » في جزائر الغرب اذ تصل كمية الحديد فيهِ الى ٦٥ بالمائة

وهذا المعدن منتشر في اكثر انحاء لبنان وعلى سطح الجبال وفي بطن الوديان سيما في اقضية البترون وكسروان والمتن وقد استُثمرَ منذ الازمنة الغريقة في القِدم كما تثبتهُ فيما بعد وكما يلوح من عُرَم الخَبَثِ والفسالة المنتثرة في كثيرٍ من انحاء الجبل. ونخصُّ بالذكر جهات عكار ودوما وبيت شباب والمشغرة والفرزل واودية الجاري النهرية مثل نهر الكلب ونهر ابرهيم. فمن هذه المعادن كانت تؤخذ موادّ المسابك والمعامل الحديديَّة القائمة في تلك الانحاء ولبثت هذه المعامل مستعملة الى اوائل العصر المتصرم

ومما يزيد اهميَّة المعادن اللبنانية فضلًا عن غزارتها وغناها جودة مادَّتها فانها تعطي اجود الحديد الذي يُتَّخذ منهُ افضل الفولاذ واصلحهُ لادقّ الاعمال وارقها كالآلات والمدافع وتصفيح المراكب وقد اشتهر حديد لبنان بدونتهِ ومرونتهِ ولا يبعد انَّ منهُ كانت تُعمل لسلحة دمشق الطائرة الشهرة كالسيوف الشاميَّة التي طالما أُغرم بها العارفون واثنى عليها المولعون وقد فُقد اليوم سرّ اصطناعها . ولمَّا دخل الحديد الغريب الى لبنان في الجيل الماضي كانت الافضليَّة للحديد اللبناني في عمل اثقال الدولاب وصناعة المسامير وما شاكل ذلك

على انَّ معادن لبنان على غزارة مادَّتها وجودتها لا تُجدي نفعًا معتبرًا لقلة الذرائع

(١ ان معدن الحديد يعتبر غنيًّا اذا كانت كميَّة الحديد فيهِ تتجاوز ٤٠ في المائة

في استثمارها اذ ليس من وقود لتشغيل المسابك وقد مرَّ بك آنفاً ان لا وجود للفحم الحجري في لبنان غير انَّهُ يمكن الاستعاضة عنهُ بالخشب كما كانوا يصنعون قديماً وذلك كان من اعظم البواعث على اتلاف الاحراج في لبنان وهاك بيانهُ :

فقديماً وقبل اكتشاف الفحم الحجري كانت تُعالج معادن الحديد بالحطب في لبنان كما في اوروبة . فانهم كانوا يوقدون الحطب في المواقد المعدَّة لتذويب الحديد وصبّه . وبعد الخشب وجدوا انهُ يلزم مائة كيلو من الحطب للحصول على ١٧ كيلو من فحم الحطب ويجب احراق مائة كيلو من الفحم لسبك ٣٤ كيلو من الحديد وذلك كناية عن اتلاف ١٧٠٠ كيلو من الحطب لاستغلال ١٠٠ كيلو من الحديد . وكان المسبك الواحد يستغرق من الحطب ما تغلُّهُ سنوياً مساحة ٢٠٠٠ هيكتار من الاحراج (١ فعلى ذلك لم تكن لتكفي اوسع الاملاك — الَّا ان حركة المعامل كانت اذ ذاك خفيفة لان الحاجة الى الحديد لم تكن شيئاً بالنسبة الى العصر الحاضر فالكور القديم كان يصبّ من ١٠٠٠ الى ١,٥٠٠ كيلو يومياً امَّا الان فانهُ يُسبك في اليوم زهاء ١٢٥,٠٠٠ كيلو وفي بعض المعامل يُعمل ثمانية او تسعة اكوار . فاذا اتَّضح ذلك ظهر جلياً الضرر الجسيم اللاحق بشجر لبنان والناجم عن مسابك الحديد القديمة وعرفتَ ان لا سبيل للانتفاع من معادن الجبل الحديدية على كثرتها ووفرة مادَّتها

ولا سبيل ايضاً لصبّ هذه المعادن والاعتناء بها بنفقات قليلة الَّا باستحضار الذرائع الموجودة في اعظم البلاد الصناعيَّة نظير انكلترة وبلجكة . اعني بوجود مناجم فحم حجري قريباً من معادن الحديد وقد عرفت ممَّا مرَّ بك أن لا وجود لهذه المناجم في لبنان ولا يَسدُّ هذا الخلل استجلاب الفحم الحجري من الخارج لما يستلزم من النفقات الباهظة

فعليهِ لا يستطيع لبنان مباراة البلاد الاجنبية في معادن الحديد مع سهولة استخراجها وجودة صنفها — لذلك نرى مسبك لبنان الوحيد في بيت شباب مضطراً الى استعمال الحديد الاجنبي . ولا مناص من هذا الاضطرار الَّا باستعمال المياه كقوَّة محرِّكة في معالجة المعادن ولا يمكن ذلك الَّا حيث المعادن قريبة من مجاري المياه

(١ راجع كتاب Vicomte G. d'Avenel: *Le mécanisme de la vie moderne* T. I. 94

والينابيع القويّة كما في وادي نهر الكلب وفي جوار بيروت فهناك المعادن الجيّدة

ومما يزيد الاسف أنّ لبنان لا يمكن ان يستعيض عن استثمار الحديد باستخراج غيره من المعادن اذ لا وجود لها. فاننا لا نتكلّم عن الذهب والفضة اللذين ذكرهما بعض الكتبة ممّن لا يتروّون في الامور ولا يتثبّتون في المباحث فقد اكّدوا وجودهما في لبنان بجانب غيرهما من المعادن كالنحاس والتوتيا (١

فلا حاجة لنا بنقض هذه المزاعم التي لا صحّة لها ولا سند. ولقد تباهى غيرهم باكتشاف مناجم الزيبق في لبنان (٢ فالزيبق معدن ثمين (٣ واستثماره يعود على الجبل بفائدة عُظمى الّا انّ هنا ايضاً تغلّب الوهم على الحقيقة فبُهرت الاعين بدلائل وهميّة كاذبة. فالزيبق المكتشف وُجد بكميّة زهيدة في موضعين بجانب السكة الحديديّة من بيروت الى الشام اعني في عين صوفر وعين مشرع فقد كان ذلك بلا ريب موضع المعامل القديمة ايّام مدّ السكة وما الزيبق المكتشف الّا كميّات وقعت من آلات المهندسين. ولقد سمعنا حديثاً باكتشاف معدن نحاس في المتن الاعلى. فهذه الاكتشافات لا تستلفت الانظار لعدم كفاءة اصحابها فعلينا ان ننتظر حكم رجال الخبرة وفحص المساطر. ونحن نتمنّى ان يكون ذلك صحيحاً وليتنا نستطيع تكذيب الدكتور لورتة (٤ القائل ان ليس في لبنان من المعادن ما يُعتدّ به

ثالثاً الحجارة ولوازم البناء

ان الحجارة كثيرة في لبنان ويمكن لاستثمارها طويلاً ونقلها الى البلاد الاجنبيّة

ولقد تأخذ الغريبَ الدهشة اذ يطوف لبنان ويسرّح نظرهُ في حجارة ابنيته فهذه الحجارة الجميلة سواء كانت منحوتة او غير منحوتة تجعل لابسط المساكن هيئةً جليلةً لا يألفها السائح الّا في قصور وطنه فباعتناء قليل يستحكم البناء ويحصل له هيئة صلابة ومكانة تردي بكرور الاجيال. ولحسن الحظ ليست الصلابة بالظاهر فقط بل

---

١) راجع كتاب فضل الله قارس ابي حلقه: جغرافية سوريا وفلسطين (ص ٢٢١)

٢) راجع الرسالة المبعوثة الى البشير (في ٢٣ ايلول سنة ١٩٠١)

٣) راجع المشرق (٤: ٨٨٧ – ٨٩١)

٤) راجع كتاب – الدول الاجنبيّة – المقدمة ص ١٩

بالحقيقة ايضاً قلّما نرى على سطح المعمور بلداً فيه ما في لبنان من لوازم البناء بكثرتها وحسنها وصلابتها . فلا طاقة للرطوبة ولعوامل الجو الاخرى على اتلافهـا . فهذه الحجارة الكلسيَّة لها تقاطيع زجاجية في المواضع المنحوتة حديثاً ولونها ابيض كامد وقد يتحوَّل على مرور الزمان بفعل اشعَّة الشمس الى شيء من الصفرة الذهبيَّة

اما في منحدرات الجبـل السفلى وعلى الشواطئ البحريَّة فتكثر مقالع الحجارة الرملية وهذا الصنف لونهُ اصفر وحجرهُ جيّد صالح للبنيـان وكل الحلات العامرة والاماكن الآهلة بالسكان من صور الى طرابلس مبنيَّة بحجره . ومن خواصهِ انهُ سريع التفتت سهل النحت لدى خروجهِ من المقلع فيتصلَّب في الهواء ويصلح للملاط اكثر من الحجارة الكلسيَّة الجيلة المقتلعة داخل الجبل

والحجر الرملي مثقوب غالباً بثقب طويلة اسطوانية ضيّقة على شكل لولب كانهـا صنع المخرز وربَّما كان ذلك من قرض الهوام الحجريَّة (١ مدَّة الاطوار الاولى الجيولوجيَّة . وقد فات هذا الشرح فهم رينان فذهب فيهِ مذهباً غريباً فان اكثر مدافن جبيـل محفورة في هذا الحجر ففيما كان رينان يفحصها شاهد ثقوباً اسطوانيَّة في قبَّـة القبور القديمة فتوهَّم تعليلاً لوجودها أنَّ الاقدمين كانوا يلجأون قبل حفر المدافن الى سبر الحجر لقصد امتحانهِ (٢

على انَّهُ ليس بوسعنا ان نعدّد بالتفاصيـل كلَّ ما في لبنان من مواد البناء على وفرة اصنافهـا ولا يسعنا إلَّا ان نذكر انواع الحجارة الجيلة المتـازة بكثافتها وصلابتها فانها تُستعمل للاعمدة وللدرج وعتبات الابواب ولسكفَّاتها الى غير ذلك من الاعمال المعتبرة كصيف المرافئ اذ ان امتداد طرق العربات في لبنان يسهّل نقلها الى البحر . ومن اصناف الحجر الجيّد ما يستخرج من المقالع الموجودة في اسفل قرنة شهوان وبيت مري بالقرب من دير مار روكس وفي غير مواضع

واينما سرتَ من الجبل ترى من الحجارة الصالحة للتبليط والتلبيس وحجارة لعمل الكلس والرحى اما البلور فهو كثيرٌ في لبنان . وبعكس ذلك الرخام فهو نادر الوجود في الجبل وليس من الصنف الجيّد اللهمَّ اذا استثنينا بلاد الجبَّة فانَّ فيها مقالع رخام صالحة

١) راجع Dawson: *Egypt and Syria*, 79

٢) راجع آثار لبنان ج ١ ص ٦٥ و ٦٦

للصقل والجلي الحسن ونذكر اننا شاهدنا امثلة منها في بعض بيوت لعدن القديمة وكذلك في الديمان في انكرسي البطريركي الجديد .. ومما يستحق الذكر مقالع الرخام الموجودة في جهور ودير القلعة فرخامها ذو عروق حمراء (١ وفي دير القلعة ايضاً حجر صلب معتبر وفي تحوم في قضاء البترون مقالع حجرها صلب لونهُ ابيض يجملهُ الصقل لامعاً كالرخام ويوخذ منهُ البلاط المصقول والاعمدة الصغيرة اللامعة (شمعات) اما الرخام الابيض الجميل من صنف رخام ايطالية والرخام السماقي وحجر الصوان فلا وجود لها في لبنان . اما ما يُشاهد في المدن الفينيقية القديمة من اعمدة الصوان مثل جبيل الحاوية على عدد وافر منها فانها منقولة من مصر

على أنَّ حجارة لبنان لم تكن تستعمل الى السنين الاخيرة إلَّا في محلها والمدن المجاورة نظير بيروت وقد راجت السوق فيها رواجاً عظيماً ومن بضع سنوات باشرت مصر بأخذ لوازم البناء من لبنان لندرة الحجر فيها وقلَّة صلاحيته كما ان الامر جارٍ في مقالع لبنان القريبة من البحر مثل نهر الكلب والعاملتين فان المراكب تستطيع ان تصل اليها وتشحنها بأقل نفقة أما المقالع البعيدة فالوسيلة لنقل صادراتها ان تكون من الصنف الاعلى كمقالع قرنة شهوان ومار روكس ودير القلعة وغيرها فانها تُطلب الى البلاد الاجنبية وما من مانع يحول دون اتساع تجارتها اذ ان امتداد طرقات العربات في لبنان يسهل كثيراً طرائق ايصالها الى البحر . وقد أخذت شركة ترعة السويس على ما نظن حجارة من لبنان لتوسيع احواض بور سعيد فكان العمل مرضياً والاقتصاد حسناً

فكل هذا يدعو الى التنشيط ويحمل على مواصلة العمل للانتفاع من حجارة لبنان ولا يخامرنا ريب أنَّ مقالع لبنان لم تُكتشف جميعها سيَّما مقالع الحجر الحسنى والرخام العادي فاذا اتسع نطاق هذه الصنعة عادت بالفائدة على كثيرين من الفعلة كعملة المقالع والنحاتين فتسد مسد المعادن المفقودة من لبنان (له تتمَّة)

---

١) فمن مقلع دير القلعة اعمدة الكاتدرائية المارونيَّة وكنيسة كليتا